مجلة الذاكرة EISSN :2676-1734 ISSN: 2335-125X
مجلد: 09 عدد: 01 السنة 2021 رقم العدد التسلسلي 16

تمثلات صور المرأة في الأمثال الشعبية الأوراسية
Representations of women in Eurasian folk proverbs

سمية فالق

قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات
جامعة عباس لغرور خنشلة الجزائر
البريد الإلكتروني:falek_soumia@hotmail.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/12/11	2021/12/14	2021/01/05

الملخص:

تعد الأمثال الشعبية من أكثر الأشكال التعبيرية المنطوقة تناولا وتداولا في المجتمع الأوراسي.فهي تعبر عن تجارب أفراده.وتتعدد موضوعاتها وتتنوع تبعا لتداولها واستحضارها بين الأفراد، كلما دعت الضرورة لها. فهي بذلك تنقل تراكما معرفيا يترجم كل ماله صلة بحياة الفرد داخل مجتمعه.وبما أن المرأة كانت ولا زالت محور الحديث الشعبي،فهي تسجل حضورا قويا في متونه الأدبية الشعبية،لذلك فقد خصها الفرد الشعبي بمجموعة من الأمثال تناقلتها الأجيال لتعبر عن صورتها داخل مجتمعها بكل ممارساتها سواء الصريحة منها أو الضمنية، الإيجابية أو السلبية.

الكلمات المفتاحية: الأمثال الشعبية،صورة ،المرأة،المجتمع الأوراسي.

Abstract:

Folk proverbs are among the most commonly used expressive forms in Eurasian society, as they express the experiences of its members. Their themes are numerous and varied according to their circulation and evocation among individuals, whenever necessary.

In this way, she conveys a cognitive accumulation that translates all his money related to the individual's life within his society, and since women were and still are the focus of popular discourse, they record a strong presence in its popular literary, so the popular individual has singled out a set of proverbs that have been passed down through generations to express her image within her society with all her practices. Whether explicit or implicit, positive or negative.

Key words: folk proverbs, image, women, Eurasian society.

نص المقال:

مقدمة:

الأمثال الشعبية من الأشكال الأدبية التعبيرية الشعبية المنطوقة، والتي امتدت بجذورها منذ القدم إلى اليوم، وتطورت إلى أن أخذت شكلا فنيا وقالبا أدبيا خاصا بها.وأصبحت ذلك الموروث المتنقل من جيل إلى جيل،ومن مكان إلى آخر،،لتقدم صورة حية عن أفراده،ومرآة عاكسة لصور حياتهم المختلفة،تستحضرها العقلية الشعبية كلما دعت الضرورة إليها.فكانت مؤونته وزاده في التعبير عن أموره الحياتية المختلفة.

وبما أن للمرأة دور فعال داخل مجتمعها،فقد صورت الأمثال الشعبية نمط حياتها داخل المجتمع على اختلاف ممارستها،مبرزة دورها وفعاليتها.فأبدع المخيال الشعبي الأوراسي في تجسيد ذلك.فتطرح الدراسة التساؤل:كيف صورت الأمثال الشعبية صورة المرأة في مجتمعها الأوراسي؟.

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل،نقف عند مفاهيم الدراسة الآتي ذكرها:

أولا.بسط نظري لمفاهيم الدراسة:

1. مفهوم المثل الشعبي:

أ.المدلول اللغوي:

وردت مادة "**مثل**"في المعاجم اللغوية العربية بمعنى الشبه والنظير والمماثلة.فلقد أورد"**ابن منظور**"في لسان العرب عدة معاني نذكر منها:"...هذا

مثله ومَثله كما يقال شبهه وشَبهه...وقولهم فلان مستراد لمثله،وفلان مستزادة لمثلها أي مثله يطلب ويشح عليه...والمثل:الحديث نفسه،وهي الأمثال...المثل بمعنى العبرة...والمثَال المقدار وهو من الشبه، والمَثل ما جعل مثالا أي مقدار لغيره يُحذى عليه، والجمع المُثل...والمِثال:القالب الذي يقدر على مِثله...وقد مَثل الرجل،بالضم مَثالة أي صار فاضلا...والأمثل الأفضل.مثَّل بالتشديد فهو المبالغة...والأمثَال الأرضون ذات جبال يشبه بعضه بعضا،ولذلك سميت أمثالا وهي من البصرة على ليلتين،والمِثل::الموضع..."[1]

ويضيف"**ابن فارس**""الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء،وهذا مثل هذا،أي نظيره.والمثل والمثال في معنى واحد...تقول العرب:أمثل السُلطان فلانا،قتَله قودا،والمعنى أنه فعل به مِثل ما كان فعلَه...وقولهم مثل به،إذا مثُل..ويقولون:مَثل بالقتيل:جدعه.والمَثلات...أي العقوبات...وواحدها مَثله ومَثلَ الرجل قائما :انتصب..وجمع المِثال أمثلَة.والمِثال :الفراش والجمع مُثل."[2]

أما"**الزمخشري**"فقال:"المثل في أصل كلامهم بمعنى المَثَلُ وهو النظير ثم قيل للقول السائر المُمثَّل مضربه بمورده:مَثُل".[3]

مما سبق ذكره، يُقصد بالمثل المُمَاثلة والمناظرة والشبه والتسوية.

ب.المدلول الاصطلاحي:

اهتم القدماء العرب بتعريف المثل،وأجادوا في ذلك.فيعرفها"**ابن عبد ربِّه**"بقوله:"وشي الكلام،وجوهر اللفظ،وحلى المعاني...تخيرتها العرب، وقدمتها العجم،ونطق بها في كل زمان،وعلى كل لسان،فهي أبقى من الشعر،وأشرف من الخطابة،لم يسر شيء مسيرها،ولا عم عمومها،حتى قيل:أسير من مثل."[4] فالأمثال خلاصة الكلام ،تتسم بالذيوع بين الناس،تجمع بين جمال اللفظ،وبلاغة الكلمة.

أما المثل عند"**الفارابي**"فهو:"ما ترضاه العامة والخاصة،في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم،وفاهوا في السِّراء والضَّراء،واستدروا به الممتع من الدِّر،ووصلوا به إلى المطالب القصيَّة،وتفرَّجوا به عن الكرب والمكربة،وهو من أبلغ الحكمة،لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصَّر في الجودة أو غير مبالغ في بُلوغ المدى في النَّفَاسَة."[5]

ركز"**الفارابي**" على سمة التداول والانتقال للأمثال بين مختلف طبقات المجتمع،أي أنها تنتقل بين العام والخاص،وتصور خبايا النفس الإنسانية،وتعبر عن مشاعر الأفراد،ومختلف حالاتهم النفسية.

والأمثال عند"**أبي عبيد القاسم بن سلام**"تمثل"حكمة العرب في الجاهلية،والإسلام،وبها كانت تعارض كلامها،فتبلغ بها ما حاولت من حجتها في المنطق بكناية غير تصريح،فيجتمع لها ثلاث:إيجاز اللفظ،وإصابة المعنى،وحسن التشبيه"[6].

فالمثل هو خلاصة التجربة الإنسانية،فهي تعبير يصاغ بأسلوب غير مباشر،متوخيا اللفظ الموجز.

ويذهب "**المرزوقي**"إلى القول أن المثل هو"جملة مقتضبة من أصلها،أو مرسلة بذاتها،فتتسم بالقبول،وتشتهر بالتداول،فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من تغير يلحقها في لفظها،وعما يوحيه الظاهر إلى أشباهه من المعاني،فلذلك تضرب،وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها،واستجيز من الحذف،ومضارع ضرورات الشعر مالا يستجاز من ضروب الكلام".[7]

يوضح "**المرزوقي**"أن المثل يكون جملة قصيرة موجزة مرسل،ينتشر المثل ويذيع بين الناس لما له من دقة التصوير،وإصابة المعنى،ناهيك على أنه متضمن لمعناه،لا يحتاج إلى إفهام،ويتم تداوله دون زيادة أو نقصان.

أما "**أبو هلال العسكري**"فيركز على أهمية المثل بقوله:"ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من آداب اللسان بعد سلامته من اللحن،كحاجته إلى الشّاهد والمثل،والشّدرة والكلمة السائرة،فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما،ويُكسبه قبولا،ويجعل له قدرا في النفوس،وحلاوة في الصدور،ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه،ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة،والاستظهار به أوان المحاولة في ميادين المجادلة،والمصاولة في حلبات المقاولة،وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد/والتنوير في الروض،والتسهيم في البُرد،فينبغي أن يستكثر من أنواعه،لأن الإقلال منها كاسمة إقلال،والتقصير في التماسه قصور،وما كان منه مثلا سائرا فمعرفته ألزم،لأن منفعته أعم،والجهل به أقبح."[8]

فالمثل هو"حكمة الكثرة وبداهة الواحد."[9]

يتميز المثل إذن ـ بالذيوع والانتشار،يعتمد على جودة العبارة،وجمال اللفظ،وبلاغة الكلمة،وإصابة المعنى.

د.تعريف الأمثال الشعبية:

المثل الشعبي ليس وليد شعب معين أو عصر ما،إنما جذوره ممتدة منذ القدم.فهو ترجمة لمواقف الإنسان المختلفة،والتي تنقل مدى تفاعل الإنسان مع هذه المواقف،وتأثره بها.لذلك فالمثل الشعبي ينقل التغيير الاجتماعي الذي يمس حياة الفرد،وبذلك فهو وسيلة تعبيرية يستخدمها أفراد الشعب،ليكون صورة حية ومرآة عاكسة لصور حياتهم المختلفة.

وعليه احتلت الأمثال الشعبية مكانة خاصة في التفكير الشعبي الأوراسي،لأنها ترافق الوجود الإنساني،وتعكس التفكير الشعبي في كل زمان ومكان.

اختلفت تعاريف المثل الشعبي وفقا لاختلاف الجوانب اللغوية،والاجتماعية المتعلقة به،فيعرفه "**رشدي صالح**":"هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية

الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية."[10] فسبب انتقال المثل هو ذيوعه وانتشاره بين الأفراد مشافهة،فهو وليد الرواية الشفوية.

ويذهب "**أحمد أمين**" إلى القول أن الأمثال هي"نوع من أنواع الأدب تمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم."ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب...وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها."[11].

يركز "**أحمد أمين**" في تعريفه للمثل على جانبين أساسيين وهما الجانب الأدبي،والجانب الموضوعي.أما الأول فشمل حديثا عن خصائص ومميزات المثل من إيجاز اللفظ،وإصابة المعنى،وجودة الكناية،وحسن التشبيه.ويحدد الجانب الموضوعي أنها تنبع من كل طبقات الشعب لأنها تعكس جوانب حياته،بمختلف أشكالها وصورها.

فالأمثال الشعبية تلخص التجارب الإنسانية في جملة قولية مختصرة،تترجم مجموع الخبرات ومحصلة التجارب الإنسانية،فهي"مرآة الشعوب،تدل على عقلية الشعب،وتعكس اتجاهاته وأخلاقه وتقاليده،وحياته الاجتماعية".[12]

أما "**رودولف زولهايم**"فيعرف الأمثال بأنها:"عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها تنعكس عليها عادات تلك الشعوب وتقاليدها وعقائدها وسلوك أفرادها ومجتمعاتها،وهي ميزان دقيق لتلك الشعوب في رقيها وانحطاطها،وبؤسها ونعيمها وآدابها ولغاتها."[13]

وعلقت "**تبيلة إبراهيم**"بقولها:"فالمثل إذن خلق فردي فيما يراه زايلر،وهو ينتشر بين أفراد الشعب قبل تحويره وتهذيبه،وقبل أن يتخذ شكله الأدبي الخاص به،على أن زايلر وإن كان على حق في مساهمة الفرد والجماعة في خلق العمل

الأدبي الشعبي،فإن المثل ـ من وجهة نظرنا ـ لا يصبح مثلا،ولا يصبح عبارة ذات أجنحة إلا في المرحلة الثانية لانتقاله،أي عندما يساهم الشعب في وضعه في قالبه الخاص."[14]

وبما أن الدراسات الإنسانية تعاني من مشكلة ضبط المصطلح،وخاصة في مجال الدراسات الشعبية،فإننا لن نخوض في جل التعريفات التي أعطيت للمثل الشعبي،إلا أننا نضيف ـ لما سبق ذكره ـ

هـ.خصائص المثل الشعبي:

استخلصت "**تبيلة إبراهيم**" خصائص المثل وحددتها بـ :

ـ المثل ذو طابع شعبي.

ـ المثل ذو طابع تعليمي.

ـ المثل ذو شكل أدبي مكتمل.

ـ المثل يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.[15]

ونضيف خصائص أخرى تبعا لما ورد ذكره في التعارف السابقة. فالمثل يتميز بالإيجاز،وإصابة المعنى،وبلاغة التعبير،وقصر العبارة،وتواشج الألفاظ،وكثافة الدلالة،ومجهولية المؤلف.

يتناول المثل الشعبي محاور مختلفة ارتبطت بمختلف الجوانب الحياتية للفرد الشعبي. فنجد حضورا لموضوعات أخلاقية،واجتماعية،واقتصادية،وثقافية، ودينية،وسياسية،وتعليمية،وتربوية،ونقدية،وثقافية وغيرها.هذه المحاور تناولت موضوعات مختلفة،وما يلفت الانتباه فيها حضور صورة المرأة التي شكلت محور اهتمام وحديث لدى الفرد الشعبي.فتردد ذكرها وسجلت حضورها في مختلف المحاور التي أثارت اهتماما لدى الفرد الشعبي.

2.مفهوم صورة:

تختزن الأمثال الشعبية في فحواها مضمونا لصور مختلفة،تعكس في حقيقتها واقع الأفراد داخل مجتمعاتهم.فتتراءى صورة الأم،وصورة الزوجة،وصورة

الرجل،وصورة الابن،وصورة البنت....وغيرها من الصور التي تعرضها الأمثال الشعبية.فما معنى الصورة؟.

جاء في لسان العرب أن"الصورة هي الشكل،والجمع صُوَر ،وصَوَرُ ،وقد تصورته فتصور ،وتصوَّرت الشيء،توهمت صورته،فتصور لي،والتصاوير :التماثيل."[16]

فهو بهذا المنطلق يبين لنا هيئة الفعل.

يعرف"**عبد القاهر الجرجاني**"الصورة بقوله: "تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا..."[17]فالصورة مفهوم عقلي،تحيل إلى ما يؤمن به الأفراد داخل مجتمعاتهم،فتترجم مختلف الممارسات اليومية التي يقومون بها،لتكون الصورة هي ذلك"الكل المكتمل المركب الذي يشمل الجانب الحسي والعقلي والمعرفي والإبداعي".[18] تترجم مختلف العمليات الحسية والمعرفية والإدراكية والمعرفية والإبداعية،لتكون"وسيلة ثقافية يبدأ بها الخطاب،ويكتمل هذا الخطاب مع عمليات التأويل الذي هو خطاب منحاز بالضرورة،فيقبل المتلقي ما يوافق أنساقه المضمرة،ويعارض ما يخالف ما في ضميره من ثقافة مترسخة...".[19]

فالأشياء تتواجد في الشعور عبر صور متنوعة،لتنقل حقائق مختلفة،وتصور واقعا معاشا من خلال ما وظفه الحكيم الشعبي من أمثال نابعة من كيان المجتمع، تترجم أفكاره وآراؤه، وممارساته المختلفة في حياته اليومية.

3.مكانة المرأة في المجتمع الأوراسي:

للمرأة مكانة وأهمية ودور في المجتمع.وحظيت بهذه المكانة منذ العصور القديمة،فتوجت بتكريم،ورفع لشأنها،هذا "لأنهن نصف النوع البشري الذي يتألف منه هذا التاريخ"[20].فهي عنصر مكون في المجتمع،سواء في تحركها أو في جمودها،لها علاقات منتشرة ومثبتة في جميع جنباته الظاهرة والخفية،في تكوينه وفي حركته،شأنها في ذلك شأن الرجل الذي هو العنصر الثاني المكون فيه،ولذا من غير الطبيعي،إن لم يكن من المستحيل عزل سيرتها في هذا المجتمع أو

تأطيرها ضمن حدود معينة لا تجاوز فيها[21].ومع ذلك لم تتغير النظرة التقليدية للمرأة. فحينما" ننعم النظر نجد أن حيلة النساء يكتنفها غموض،نعم إن بعض ملكات،وحسان وبغايا وقديسات قد خلقن لهداية المؤرخ صور وجوههن وسجلات حياتهن،بيد أن غيرهن من النساء،وهن جمهرة الفضليات وغير المشهورات قد بقين مغمورات في حلكة الماضي،وقد اعتدنا أن نتصور أن الرجال هم الذين أقدموا بالمدنية وأن النساء قد حبن وراءهم،يقمن لهم بشؤون الدار،ويأتين بالأولاد إلى العالم،وهذا رأي التاريخ الذي أخذ به في الماضي ولا يزال يأخذ به الآن."[22]

ومع هذه النظرة السطحية لها،وإهمال لمكانتها،إلا أنها حظيت برفعة ومكانة في المجتمع الأوراسي، فتلعب دورا مهما في نظامه الاجتماعي،وفي حياته الاجتماعية أيضا،تقف وتعمل جنبا إلى جنب مع أخيها وزوجها،هذه المفارقة تعطي حرية للمرأة الأوراسية،فلقد سجلت وتسجل حضورا قويا،تستحضرها العقلية الشعبية لتعبر عن دورها ومكانتها داخل بيئتها.وتعترف العقلية الشعبية الأوراسية بحضورها،ولا أدل على ذلك من الأمثال الشعبية المتداولة في المجتمع الأوراسي،والتي تتناقل مختلف صورها داخل مجتمعها سواء الإيجابية منها أو السلبية،الصريحة أو المضمرة.

ثانيا.صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأوراسية:

شكلت المرأة محور الحديث الشعبي،فلقد رصد الفرد الشعبي الأوراسي كل تحركاتها وسكناتها،بل سلط الضوء على مجمل وأدق تفاصيل حياتها،وممارساتها اليومية.لينقل لنا صورتها داخل مجتمعها والتي نعرضها وفق المحاور التالية:

1.صورة المرأة في الدين:

تدرك المرأة الأوراسية إدراكا جازما أن الله خلق الكون،فهو المدبر لشؤونه،والمسير لأمور رعيته،فله تصاريف الدهر. لأن قدرته تعلو قدرة الإنسان،بل يقف عاجزا أمامها.فتستسلم لقدرة المولى عز وجل،وتؤمن بمشيئته.فتقف عاجزة أمام قدرة الخالق،فلا مفر مما هو مكتوب لها.فيعبر الفرد الشعبي عن ذلك بقوله:"**الشي بالمكاتيب يالهاربة لا تخافي**"*،وهو ما يقابل

ترديدها"**اللي مكتوب على اجبين اتشوفو العين**"وهذا تجسيد لقدرة الله ولعنايته الإلهية،فلا هروب من قدر محتم.والمكتوب عند المرأة الأوراسية مرتبط بمختلف النـــواحي الحياتيـــة كالزواج،والطلاق،والنجاح،والعمل،والدراســـة،والإنجاب....ولا يتوقف الأمر عند ذلك،بل يتعداه إلى الإيمان الجازم بقضاء الله وقدره.هذا الإيمان المطلق عبر عنه الفرد الشعبي بقوله:"**مرت حد ما يديها حد**"و"**لعروسة في المركب أو ما نعرف لمن تكتب**".فالمرأة لا تملك حيلة أمام قدرها،فهي تستسلم له وترضخ مهما كانت رغبتها.

فلقد عبر الحكيم الشعبي من خلال صورتها عن سمة الإيمان بقضاء الله وقدره.

وبما أن للدين والعبادات،ومختلف الممارسات والشعائر الدينية حضور في المجتمع الأوراسي.فغدت الكثير من تصرفات المرأة وعاداتها تطبعها بالتعاليم الدينية.فيرصد الفرد الشعبي ذلك من خلالها بقوله:

"**لا تامن النسا بعد كيسة ولي عبدت في لجبال سنيـن**
النية عندها فرد نيـــــــة وعندها من الحيلة خمسيـــن"

وهذا كصورة سلبية،للدلالة على التظاهر بأداء العبادات والفرائض،لتخفي المرأة مكرها وحيلتها.وهي صفات ارتبطت بشخصها.لينتقل الحكيم الشعبي للتأكيد على نقصها في الدين،فيقول:"**لا تامن الليالي إذا اصحات،ولا تامن الإبل إذا سارت،ولا تامن النسا إذا صلات**".يوضح الفرد استنكاره حيل المرأة،والتي ربطها بتظاهرها لأداء مختلف العبادات وفي مقدمتها الصلاة.هذا النقد الاجتماعي الذي عكس صور تقصير المرأة في أداء عباداتها.لكن نستدرك بالقول أن ذلك يمثل عينة في المجتمع الأوراسي والمجتمع الجزائري،ولا يمكن تعميم تقصيرها في مجال الدين على كل نساء المجتمع الأوراسي.

كما يدرك الفرد الأوراسي أن النعم بيد الخالق سبحانه وتعالى،فهو الذي خلق الأرض،وقسم الأرزاق.ولكي يعبر عن الجحود والنكران للنعمة،أسقط ذلك على المرأة مباشرة.فعرض صورة المرأة التي لا تقدر النعم التي بين يديها،فخاطبها متهكما"**أخسارت القمح في عوجات اركايب**".

هذه الصور السلبية للمرأة الأوراسية تحمل رفضا لبعض ممارساتها،فيعتبر الفرد الشعبي ذلك مساس ببناء المجتمع.وتمثيله والوقوف على سلبية هذه التصرفات ،إنما يحمل في طياته رسالة إيجابية بهدف التغيير.

2.صورة المرأة في المكر والدهاء:

يحذر الحكيم الشعبي من كيد النساء وبهتهن فيقول:"**إذا حلفوا فيك ارجال غير بات راقد،وإذا حلفوا فيك انسا بات قاعد**"،"**سرّك احفرلوا بير وخبيه،واحفرلوا بير قامة،ولكلام مرتك اضحكلوا وأديه حتان تهييلوا ارزامة**".فهذا التحذير من المرأة التي يمكن أن ينقاد لها الرجل دون وعي منه.فينخدع بتصرفاتها وببراءتها.فيستمر محذرا بقوله:

"**حديث النسا يونس ويعلّم لفهامة**
يديروا شركة من الريح وحسنولك بلا ما"

ويضيف محذرا:"**مزين النسا بضحكات لوكان أيدوموا**
الحوت في الماء أيعوم أوهوما بلا ماء أيعوموا"

وبما أن السمة الأساسية للمجتمع الأوراسي المحافظة على الشرف بدليل ربطه بين شرفه وأرضه،لقداستهما في ذهنية الأوراسي،ومادام الأمر كذلك،فقد سعى الفرد الشعبي بضرورة تزويج البنت،لأن ذلك سترة لها،وحفاظ على شرفه،وخوف من مكرها وحيلتها،وسوء تصرفها وتقديرها للأمور وتهورها،فيردد:"**ضرستك إذا وجعاتك نحيها بكلاب أحديد،وبنتك إذا كبرت أعطيها راهو أبلاها في الدار ديما أيزيد**"،"**اللي عندو طفلة في الدار كالفعى في الغار**".

ويلجأ الفرد الشعبي إلى التنبيه والتحذير من كيد النساء ومكرهن،فيعرض صورا لهن مرددا:"**النسا كي يحبوا يدبروا،وكي يكرهوا يخبروا**"،"**النسا إذا خدموا أصلاح داخوا،وإذا خدموا لفساد بدعُوا**".ويجزم القول مؤكدا على كيدهن وبهتهن:

"**بهت النسا بهتين من بهتهم جيت هارب**
يتحزموا باللفاع ويتخللوا بالعقارب"

3.صورة المرأة في الارتباط والزواج:

يعتبر الزواج الخطوة الأولى لتكوين الأسرة.فأعطى المجتمع الأوراسي أهمية وقداسة لهذا الرباط،لكونه السبيل الأول لتكوين وحدة اجتماعية أساسها المرأة والرجل.هذه العلاقة التي شكلت محور الحديث في الأمثال الشعبية التي رددها الحكيم الشعبي.

أ.حرية الاختيار:

بما أن هذا الارتباط وُسم بالقداسة،لأنه محطة أساسية تحدد المستقبل،ومادام الأمر كذلك،وبالرغم من خصوصية المجتمع الأوراسي بأنه ذكوري ومحافظ،إلا أن الفرد نقل صوره لقداسة هذا الارتباط،والذي يتم بحرية اختيار المرأة لشريك حياتها،وإلا ستكون عواقبه غير محمودة.فيقول:"**المغُصوبة ماتركح ومولاها مايربح**".

ومن جانب آخر يخاطب الفرد الأوراسي الرجل ليعكس مدى اهتمام الرجل الأوراسي بموضوع اختيار الزوجة لكونه أمرا أساسيا وحاسما يحدد نتيجة خياراته.وعبر عن ذلك بعرض مختلف صور المرأة بين الإيجابية والسلبية.فيقول:"**بلاك لا تاخذ البيضا ولا تخسر مالك أعليها:البيضا مثل لبياض ولا طاح في لغنم يعميها،وبلاك ما تاخذ الكحلة وتخسر مالك أعليها هي كي الركنة الظلمة ولا خشيت فيها،خوذ السمرا واخسر مالك أعليها راهي كي عسل النحل ولا طاح في الكرش يداويها**".فالمرأة البيضاء والأخرى السوداء غير محبذتان عند الفرد الأوراسي،ويشجع على الارتباط بالمرأة السمراء،فهي مرغوبة ومطلوبة.كما يؤكد على النسب الرفيع،ويربطه بمكانة الخيول عند الرجل الأوراسي،فهي رمز للعزة والرجولة،والكبرياء والشرف وهي شيم الرجل الأوراسي،فيردد"**شوف العود واشر بنتها**".أي الاختيار على أساس الأصل وهنا إشارة إلى الأم للتأكيد على إدراكه الجازم بالصلة القوية بينهما.ليقول:"**خوذ لبنات على لمات،وخوذ الخيل على السادات**"،"**كب البرمة على فمها تخرج البنت لأمها**".

كما يكسر الفرد الشعبي قاعدة افتخار المرأة بجمالها واعتدادها بنفسها،فالجمال الحسي لا يعد أساسا لاختيار الزوجة،ويؤكد على ذلك بقوله:"**يروح الزين ويبقاو مَايروُا**"،"**ماتشوف لزين الطفلة حتى تشوف لفعايل**".ويستمر الأوراسي في التأكيد على قناعاته في معرفته بمختلف أصناف المرأة،فيعرض صورا أخرى لها:"**اللي يحب ارجيلة يموت ارجيل،واللي يحب اذليلة يموت بداه،واللي يحب الطويلة يلوح بعنيه تلقاه،"اللي عندو مرتو قصيرة كل عام يقول اصغيرة**"

وترتبط مكانة المرأة عند الرجل بإنجاب الذكور له، وهذا نظرا لأهمية الأمر في تأسيس الأسرة، لكنه يأتي أحيانا ليكسر كل ما هو متعارف عليه في المجتمع، مؤكدا على مكانة المرأة لشخصها فيقول:"**الزينة بلا كحل ولعزيزة بلا طفل**".

ب.زواج الأقارب وأفضلية الاختيار:

يقوم المجتمع الأوراسي قديما على نظام القبيلة،أي ما يعرف بالعرش.ففي القضايا الاجتماعية ومن بينها الزواج،يركز المجتمع الأوراسي على تشجيع زواج الأقارب،حفاظا على استمرارية أصل القبيلة.لذلك يحرص الشعبي على التقيد والارتباط بهذه الفكرة،فيردد قائلا::"**بنت عمك كي لعسل في فمك**"،"**اللي مدى بنت عمو ما أزوج**"،"**خوذ طريق العافية ولو بعدت،وخوذ بنت العم ولو بارت**".

جـ.تهكم وسخرية الرجل منها:

يُعرض الفرد الشعبي صورا سلبية للمرأة،تحمِّل في مضمونها سخرية وتهكما منها،وجسد ذلك ـ تحديدا ـ في أمثال الزواج نحو قوله:"**كحلتي باطل سوكتي باطل، لا جيتي على البال ولا على الخاطر** "،"**الزير المتكي ما تضحك ما تبكي**"،"**هنية ماشية خصها غير لعجار**"،"**لول أتعوس من ألبس دربالة وأحسب ألبس برنوس،والثاني أتعوس اللي أطلق الما على الفقوس،والثالث أتعوس اللي تزوج أعجوز وأيقول جبت أعروس**"،"**اللي أكلاتو المعزة في راس لجبل تخلصوا**

في دار أدباغة".وهذا ليترجم نظرته السلبية نحوها.فنلمح عدم الرضا،والتي عبر عنها بطريقة تهكمية.

3.صورة المرأة في الكسل والخمول والنشاط:

رصد الحكيم الشعبي الممارسات السلبية للمرأة،فعرض صورا مختلفة لمظاهر الكسل والخمول في أداء واجباتها المنزلية.فشرّح صورا مختلفة لكسلها وتركها لمهامها المنزلية،وعرضها لحجج واهية.فيقول:"**أعييت من زينك وأبهاك،ورّيني شغل يديك**"،"**ماتنعتليش أظفايرك المنعسة،نعتيلي يديك بين النسا**"،"**زينة وأعريضة ومن يدها أمريضة**"،"**بلاك من المعفونة إذا رقمت،والمتروكة إذا حكمت**"،"**غسلت وخلات رقبتها،وكنست وخلات عتبتها**"،"**لمرا الخايبة أتقول سحروني جيراني**".

ويعرض الفرد الشعبي صورة المرأة ليقارن بين الحالتين:أي حالة الجد وحالة الكسل.فيقول:

"**الحرة في أكلامها تستغفر وفي لباسها تشمر**
أفي أدقيقها تقلـــــل إذا أحرث راجلها في التل
يعول الخايبة في كلامها تعثر أفي ألباسها تجرجر
أفي أدقيقها تكـــــــــتثر إذا أحرث رجلها في التل
مايعول"

وهي صورة جميلة لإجراء المقارنة تنم عن عقلية شعبية أوراسية متمرسة،لها خبرة في الحياة.لتحمله هذه الصورة إلى رصد صورة المرأة الإيجابية والتي مثلها نشاطها واهتمامها ببيتها وزوجه،فلا تدخر جهدا لتقديم الأفضل.فيردد الحكيم الشعبي بالقول:"**الشّعر تحت المحرمة واليدين بين النسا**"،"**بيتي مبنية وناري مقدية**"،"**الليل أحراير موش أغراير**"،"**كي أتعود الفحلة تذوب،أتعود الخايبة تروّب**".

4.صورة المرأة في الإنفاق والتبذير:

ارتبطت ظاهرة التبذير بالمرأة،فرصد الحكيم الشعبي قلة تدبرها وإسرافها وتبذيرها،وربطه بسوء تقديرها وتصرفها.فهي لا تحسن التصرف.ويدلل على ذلك بقوله:"**هو يطلب ومرتو تصدق**"،"**الرّاجل واد ولمرا سد**"،"**الراجل جايبة،ولمرا خابية**".ويرصد الفرد الشعبي صورة مقارنة بين الإنفاق والتبذير فيقول:"**السين والصاد:كاين اللي عندو أمرا،وكاين اللي عندو مشينة حصاد**".

5.صورة المرأة في الطلاق والضرة:

تشكل الضرة تهديدا وقلقا يهدد استمرار الحياة الزوجية،فعلاقة الزوجة والضرة تتسم بالعداوة والنفور، ودخولها إعلان عن بداية المشاكل.فرصد الحكيم الشعبي مرارة الوضع بترديده:"**الضرة مرّة**"،"**الضرّة مرّة وتولّد لعسل**".وأحيانا تقبل المرأة الوضع عن مضض،تخفي مرارتها لتظهر أصلها الطيب،فيقول:"**لمرا حرة حتى وين جات أعليها ضرة**".وأحيانا تكشف المضمر وتعلن كيدها،فيقول المثل:"**لا عقل بعد الضرة،ولا زين بعد الجدري**".

يدرك الزوج الأوراسي المأزق الذي وضع نفسه فيه،فيحدث ذلك قلقا وارتباكا لديه فيعبر عن حالته بقوله:"**يا عامل الضرابر جايب لراسك لمصايب**".

ينتقل الرجل الأوراسي لنقل صور المرأة في حالة حدوث الانفصال والطلاق،مع تحميلها مسؤولية الطلاق بقوله:"**الهجالة من ربي ،والمطلقة من أفعايلها**"،"**شردودة لا مطلقة لا مردودة**".

6.صورة المرأة في الخيانة:

ارتبط فعل الخيانة في المجتمع الأوراسي بشخص المرأة.فيحملها الفرد الشعبي هذا الإثم،بل وألصقه بها بدليل قوله:"**كيت النسا ماتتنسى،ومرقتهم ما تتحسى**"،"**لمرا غدارة لو كان تتعس بسبعين حارة**"،"**أتقول للكلب أس وأتقول للخاين خش**"،"**راكبة فوق عرفين،اسرسبي روحك بركايك من صحبت اثنين:أدي واحد وروحي**".فالمرأة في نظر المجتمع الأوراسي خائنة ولا يؤتمن لها جانب.وهي نظرة مبالغ فيه،ويتولد عنها انعدام الثقة،وعدم استقرار الحياة الزوجية:"**اللي يامن لمرا كي اللي يامن لفعى**".

7.صورة المرأة في الولادة والتربية والوراثة:

الأولاد زينة الحياة الدنيا،فبهما تكتمل الفرحة،ويستمر النسل،وهي سنة الحياة.لكن يتغير الوضع عندما لا تنجب الزوجة،ولا يتوقف الأمر عند ذلك، بل يتعداه إلى تحميلها مسؤولية عدم الإنجاب،وحتى عدم إنجابها للذكور،فتتهم بالتقصير،وسبب الاتهام أن المجتمع الأوراسي مجتمع ذكوري،فلا يجوز اتهام الرجل بعدم الإنجاب،وتتحمل المرأة مسؤولية ذلك.يقول الفرد الشعبي:"**لمرا بلا أولاد كي الخيمة بلا أوتاد**"،"**لا سعايا ولا ضنايا**"،"**الدار بلا أصغار كيما أجنان بلا نوار**".

كما يستمر الشعبي في عرض الصور السلبية للمرأة،فينجر عن تأخر زواجها، تأخر إنجابها،فيسخر منها بقوله:"**أولاد الشيب ياكلهم الذيب**".

8.صورة المرأة في العلاقات الأسرية:

عندما يقودنا الحديث عن العلاقات الأسرية غير العلاقات المبنية على القرابة الدموية،فهذه العلاقات تخص تحديدا أهل الزوج وأهل الزوجة.وبما أن الأمثال تهتم بالمرأة فمباشرة تتناول بالحديث علاقتها بـ"**الحماة**".هذه الأخيرة التي تشكل هاجسا وشبحا،بل وخطرا يهد استقرار حياتها الزوجية،فتعبر المرأة الأوراسية بترديد:"**الكي بالنار ولا أعجوز في الدار**"،"**يامًا جنة لعجوز عذبتني**".وهي نظرة سلبية للحماة،تناقلتها الذهنية الأوراسية.لكن لا يمكن تعميمها.

النتائج:

من نافلة القول تصل الدراسة إلى رصد النتائج التالية:

ـ المثل الشعبي هو شكل أدبي تعبيري شعبي،يتناقله الأفراد لتصوير مختلف سلوكاتهم،وممارساتهم داخل بيئتهم الاجتماعية،فيكون مرآة عاكسة لنمط حياتهم.

ـ يشكل المثل الشعبي ضابطا اجتماعيا لسلوك الأفراد داخل مجتمعاتهم.

ـ تعكس الأمثال الشعبية طريقة تفكير الفرد الأوراسي،فتنقل خلاصة تجارب الفرد داخل بيئته.

ـ نقلت لنا الأمثال الشعبية صورا مختلفة للمرأة الأوراسية داخل بيئتها ومجتمعها: الأم،والبنت،والأخت،والزوجة،والحماة،والضرة.

ـ شكلت المرأة محورا رئيسا في الحديث الشعبي،فرصد الفرد الشعبي كل تصرفاتها،لينقلها في مجموعة أمثال شعبية أطلقها بهدف تسليط الضوء على ممارساتها المختلفة،سواء الظاهرة منها أو المختفية.

ـ رصد الفرد الشعبي صورا مختلفة للمرأة،تناولت محاور مختلفة تمت بصلة لحياتها،فنقل صورتها في الدين،وفي مختلف العلاقات الأسرية الاجتماعية،وفي ممارساتها الحياتية،كما صور طريقة تفكيرها وتصرفاتها.

ـ تبرز الأمثال الشعبية صورا إيجابية للمرأة الأوراسية،لكنها تعد قليلة مقارنة بالصور السلبية.

ـ حاول الفرد الشعبي أن يرصد أغلب الممارسات السلبية للمرأة،وما هدفه من ذلك إلا التغيير .فلا تعد الأمثال الشعبية التي مثلت الصور السلبية للمرأة هو إنقاص من قيمتها،أو مساس بكيانها،وإنما هدف إلى تغيير مختلف السلوكات السلبية.وهذا من منطلق أن المرأة هي التي تكمل بناء المجتمع،وركيزة أساسية للحياة الأسرية.

ـ عبرت الأمثال الشعبية عن طبيعة المرأة ،وعن علاقاتها بأفراد مجتمعها.إذ نقلت لنا الأمثال الشعبية طريقة تفكيرها،ونمط حياتها،وممارساتها اليومية.

ـاعتمد الفرد الأوراسي الأمثال الشعبية مطيَّة لجأ إليها بهد تشجيع المرأة،وتغيير الصور السلبية لها.

في الأخير،نقر أن المرأة الأوراسية تحظى بمكانة مرموقة في بيتها،فهي الأم،والزوجة،والبنت،والأخت.كما يتمسك الفرد الأوراسي بتعاليم دينه في التعامل معها،فتلقى التقدير،والتكريم، والاحترام.وينم ذلك عن إدراك الرجل الأوراسي لمكانتها،ولأهميتها في الأواصر العائلية،وفي بناء أسرة متماسكة.

الهوامش:

[1] ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم)،لسان العرب،مج11،حرف اللام،دار صادر ،بيروت،1412هـ،1992م،مادة مثل،ص ص 210،216.

[2] ابن فارس (أبو الحسن أحمد زكريا)،معجم مقاييس اللغة،بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،مج 5،دار الجيل،بيروت،دت،دط،باب الميم والثاء وما يثلثهما،مادة مثل،ص ص 296،297 .

[3] الزمخشري (جار الله أبي القاسم بن عمر)،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تصحيح عبد الرزاق المهيري،دار إحياء التراث العربي،بيروت، دط،2003م،ص 35.

[4] رودولف زولهايم،الأمثال العربية القديمة،ترجمة:رمضان عبد التواب،مؤسسة الرسالة،بيروت،1403هـ، 1982م، ص7، مقدمة المترجم.

[5] السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين)،المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرحه وضبطه وصححه وعنون موضاعاته وعلق حواشيه:محمد أحمد جاد المولى،علي محمد الباجوري،محمد أبو الفضل إبراهيم،ج1، دار الجيل،بيروت،لبنان،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دط،دت،النوع الخامس والثلاثون،معرفة الأمثال،ص 486.

[6] المرجع نفسه،ص486.

[7] المرجع نفسه،ص ص 486،487.

[8] أبو هلال العسكري(أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري)،جمهرة الأمثال،حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه:محمد أبو الفضل إبراهيم،عبد المجيد قطاش،ج1،دار الجيل،بيروت،دت،ط2، ص .4

[9] 25 باحثا من المتخصصين،الفولكلور الأمريكي،ترجمة:ناظم لوقا،مطبعة دار العالم العربي،القاهرة،دط،1980م،ص 307.

[10]إبراهيم أحمد شعلان،الشعب المصري في أمثاله العامية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972، دط، ص ص 15، 16.

[11]أحمد أمين ،قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية،طبع لجنة التأليف والترجمة،1953،دط،ص 61.

[12] رشوان حسين عبد الحميد أحمد،الفولكلور والفنون الشعبية،المكتب الجامعي،مصر ،1933م، دط،ص 45.

[13] رودولف زلهايم،الأمثال العربية القديمة،ترجمة:رمضان عبد التواب، ص 7.

[14] نبيلة إبراهيم،أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة،مكتبة الفكر ،دت،دط،ص 33.

[15] المرجع نفسه،ص 140.

[16] ابن منظور ،لسان العرب،مج4،دار صادر ،بيروت،1997م،ط1، ص 85.

[17] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، 1992م،دط، ص 508.

[18] غيور غي غاتشف،الوعي والفن ـــ دراسات في تاريخ الصورة الفنية ـــ،ترجمة:نوفل نيوف،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1990م، دط، ص 11.

[19] عبدالله الغذامي،سقوط النخبة وبروز الشعبي،المركز الثقافي العربي،المغرب،2004م،دط،ص69.

[20] ليلى صباغ،المرأة في التاريخ العربي"في تاريخ العرب قبل الإسلام"،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،1975م، دط، مقدمة،ص 5.

[21] المرجع نفسه،ص11.

[22] المرجع نفسه،ص 6.

*مدونة الأمثال الشعبية- مخطوط - مجموعة من طرف الدكتورة سمية فالق - منطقة الأوراس.

المراجع:

ـالمراجع العربية:

1- أحمد أمين ،قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية،طبع لجنة التأليف والترجمة،1953،دط.

2- أبو هلال العسكري(أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري)،جمهرة الأمثال،حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه:محمد أبو الفضل إبراهيم،عبد المجيد قطاش،ج1،دار الجيل،بيروت،دت،ط2.

3- إبراهيم أحمد شعلان،الشعب المصري في أمثاله العامية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972، دط.

4- رشوان حسين عبد الحميد أحمد،الفولكلور والفنون الشعبية،المكتب الجامعي،مصر ،1933م، دط.

5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، 1992م،دط.

6- عبدالله الغذامي،سقوط النخبة وبروز الشعبي،المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004م، د ط

7- ليلى صباغ،المرأة في التاريخ العربي"في تاريخ العرب قبل الإسلام"،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،1975م، دط، مقدمة.

8- نبيلة إبراهيم،أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة،مكتبة الفكر ،دت،دط.

المعاجم:

1- ابن فارس (أبو الحسن أحمد زكريا)،معجم مقاييس اللغة،بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون،مج 5،دار الجيل،بيروت،دت،دط،باب الميم والثاء وما يثلثهما،مادة مثل.

2- ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم)،لسان العرب،مج11،حرف اللام،دار صادر ،بيروت،1412ه ،1992م،مادة مثل.

3- ابن منظور ،لسان العرب،مج4،دار صادر ،بيروت،1997م،ط1.

4- الزمخشري (جار الله أبي القاسم بن عمر)،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تصحيح عبد الرزاق المهيري،دار إحياء التراث العربي،بيروت، 2003م،دط.

5- السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين)،المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرحه وضبطه وصححه وعنون موضاعاته وعلق حواشيه:محمد أحمد جاد المولى،علي محمد الباجوري،محمد أبو الفضل إبراهيم،ج1، دار الجيل،بيروت،لبنان،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دط،دت،النوع الخامس والثلاثون،معرفة الأمثال.

المراجع المترجمة:

1- رودولف زولهايم،الأمثال العربية القديمة،ترجمة:رمضان عبد التواب،مؤسسة الرسالة،بيروت،1403ه، 1982م، ص7، مقدمة المترجم.

2ـ 25 باحثا من المتخصصين،الفولكلور الأمريكي،ترجمة:ناظم لوقا،مطبعة دار العالم العربي،القاهرة،دط،1980م.

3ـ غيور غي غاتشف،الوعي والفن ـ دراسات في تاريخ الصورة الفنية ـ،ترجمة:نوفل نيوف،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1990م، دط.

المخطوطات:

1ـ سمية فالق،مدونة الأمثال الشعبية مجموعة من منطقة الأوراس،مخطوط.